الرومانتيكي والحركات الرمزية والسريالية والتجريدية وتيار الوعي، حيث ينتقل الشكل ويتأيقن ويصبح مرجعية ذاته، فالفنان يصبح كمصباح أو كنافورة تشع المعنى.

**٢ـ مرحلة السيولة الشاملة:**

يبدأ التمرد على المجاز ويتصاعد، وهو تعبير عن تصاعُد معدلات الكمونية والواحدية المادية، والإنكار المتزايد لمقدرة الإنسان على التجاوز. فبدلاً من المجاز يظهر ما يسمَّى بالإنجليزية «أيروني irony» (وتترجم بكلمة «مفارقة»، ويمكننا أن نسميها «الإحساس الساخر بالمفارقة»).

ولنضرب بعض الأمثلة: تهب رياح الخماسين وتحمل الأتربة، وبدلاً من أن نقول «يا له من يوم حار متربٍ»، نقول: «يا له من يوم جميل صاف!»، لنعبِّر عن إحساسنا بالمفارقة الساخرة. وحين يقول الحبيب لحبيبته في ليلة مقمرة: «أحبك من أعماق قلبي من الساعة ٥,٤٠ حتى الساعة ٦,٣٥، وفي عطلة نهاية الأسبوع، وفي الإجازات الرسمية، وإجازات البنوك!»، فإننا نعرف أنه لا يعبِّر عن مشاعر حب، وإنما يعبِّر عن إحساس عميق بالانفصال. فالظاهر هنا هو عكس الباطن. وهدف المفارقة ليس هو كشفَ علاقة إنسانية مركبة، وإنما تقويض أحاسيس النبل والبطولة والحب، وإظهار أنها كلَّها عبث. ولهذا فنحن نشعر بالمفارقة الساخرة حين يغرق أحد أبطال البحرية من المحاربين القدامى في حمَّام السباحة. وإذا كان المجاز هو عملية تفكيك وتركيب، فإن «الأيروني» هو عملية تفكيك وتقويض وهدم دون تركيب، وهو عملية تحويل للعالم إلى ذرات متناثرة لا يوجد فيها هدف أو غاية. وتاريخ الفن الغربي هو تاريخ الصراع بين الأيقنة والحرفية والتفكيك، مع محاولات متعثرة للمجاز أن يؤكد ذاته. حتى نصل إلى عصر ما بعد الحداثة حيث يتكون العالم من كلمات لا علاقة لها بالواقع، ومن أيقونات بلا إله ولا معنى، ولذا فهي ذاتُها ذراتٌ متناثرة.